— ١٤ —
حافظ وشوقى

(١)

فى أقل من ثلاثة أشهر فقدت مصر لسانيها الناطقين ، وفقد الشرق العربى شاعريه العظيمين حافظاً وشوقى . وكأنما أراد القضاء أن يمهل أمير الشعراء شهرين وبعض شهر ليرثى حافظاً وينصفه بعد موته كما مدحه حافظ وأثنى عليه ، وأعلن إمارته للشعر فى حياته !

فلما قضى شوقى من ذلك حق الوفاء والانصاف والعدل ألحقه الله بصاحبه فى حيث لا تنافس ولا تفاخر . وفى حيث لا غل ولا حقد ولا موجدة . وقد كان شوقى يرجو - كما قال - أن يرثيه حافظ ، ولو قد تأخر حافظ عن شوقى لقال إنه كان يرجو أن يكون السابق وان يرثيه شوقى . وأمر الله نافذ وكلمة الله هى العليا ، فقد أراد أن يموت حافظ وأن يتبعه شوقى بعد شهرين وبعض شهر ، وأن يفقد الأدب العربى الحديث عليه ولسانيه وشاعريه ، وأن ترزأ مصر فى ابنيها العزيزين دون أن تجد فى أحدهما خلفاً من فقد صاحبه .

ولست أكتب هذا الفصل لأصف حزن مصر أو حزن

الشرق العربى على الشاعرين ، ولا لأصور هذه اللوعة التى ملأت عليهما قلوب الأصدقاء والأحبة . فقد عرف الناس ذلك معرفته وقد كثر الكلام فيه ، وما أظن أن الناس سيفرغون منه قبل زمن طويل . انما أريد فى هذا الفصل ان أكون مؤرخاً للشعر المصرى الحديث ، وأن أكون منصفاً فى هذا التاريخ ماوسعنى الانصاف ومدت لى أسبابه وهيئت لى وسائله ، ولعل أول الانصاف أن أعترف بأنى قد عرفت الشاعرين وكان بينى وبينهما ما يكون بين الناس من قرب وبعد ، ومن مودة وإعراض . وأنى لم أكد أشيع كلا من الرجلين الى حيث أراد الله له أن يكون ، حتى أخذت نفسى بأن أنسى ما كان بين شخصيهما وبينى من هذه الخصومات الباطلة التى تعرض للناس فى الحياة ، والا أستبقى منهما الا الخير الذى يدعو الى الحب ويثير فى النفس عاطفة الحزن والألم ويطلق اللسان والقلب بهذا الدعاء الخالص الصادق البرىء الذى نسميه الاستغفار .

فرحم الله هذين الراحلين الكريمين ! كلمة أطلقها خالصة قد ملأها البر والحب والوفاء . ولكن حافظاً وشوقى ليسا شخصين فحسب ، وانما هما شاعران كانا فى حياتهما ملكا

خالصاً للنقد ، وهما بعد موتهما ملك خالص للتاريخ . وقد قال النقد فيهما حين ما استطاع أن يقول، فعرفا وأنكرا ورضيا وسخطا . ولعل النقد لم يستطع أن يبرأ من تأثير رضاهما وسخطهما . ولعل النقد أن يكون قد حرص على أن يغيظهما فأسرف فى الطعن، أو على أن يرضيهما فغلا فى الثناء . ولعلهما أن يكونا قد رضيا عن ثناء المادح فتلطفا له حتى أغرياه بالغلو فى المديح ، أو سخطاً على نقد الناقد فتنكرا له حتى أغرياه بالافراط فى اللوم ، والاغراق فى التجريح . وكذلك يعجز الأحياء عن أن ينصف بعضهم بعضاً لأن شهوات الرضى والسخط وعواطف الحب والبغض وأهواء التعصب والتحزب تفسد عليهم أعمالهم فتدفعهم راضين أو كارهين الى الغلو حيناً والى التقصير حيناً آخر . واذا لم يستطع الأحياء أن يظفروا من شركائهم فى الحياة بالانصاف والعدل ، فخليق بالموتى أن يظفروا بهذا العدل وذلك الانصاف ، لأن الموت ينبغى أن يجبّ ماقبله ، وأن يمحو ما فى الصدور من غل وما فى النفوس من موجدة ، وما يتعلق به بعض الناس على بعض من أسباب الخصومة والمنافسة والكيد .

وأنا أريد أن أعترف أيضاً بأنى كنت أوثر حافظاً على

شوقى فى حياتهما ، وكنت أختص شاعر النيل من المودة والحب بما لم أختص به أمير الشعراء . لأن روح حافظ وافق روحى ، ولأن كثيراً من أخلاق حافظ وافق أخلاقى ولكنى على ذلك أريد (وأستعين الله على ما أريد) أريد أن أنسى الآن حبي لحافظ وايثارى اياه بالمودة الصادقة والحب الخالص ، وأن أجعل الرجلين سواء أمام النقد الأدبى الذى أريد أن أعرض له فى هذا الفصل . وأنا أعلم أن من العسير جداً أن يخاص المؤرخ ومؤرخ الأدب بنوع خاص من عواطفه وشهواته، ومن ميوله وأهوائه، ومن ذوقه فى الأدب والفن . فهو خليق أن يخضع لهذا كله قليلا أو كثيراً حين يدرس الشعراء والكتاب ، أو يوازن بينهم أو يحكم عليهم . أعلم أن هذا عسير ولكنى أعلم أنى سأجد فيه ما استطعت . وأعلم بعد ذلك أنى إنما ذكرت عواطفى التى كانت تعطفنى على حافظ بالحب والمودة ، وتصرفنى عن شوقى بعض الشئ لتتم أنت ما قد أعجز عنه أنا من الانصاف ، ولتمحو أنت ما قد أتورط فيه أنا من الغلو والاغراق .

وأنا أشد الناس رثاء للكتاب وللشعراء والأدباء وأصحاب الفن الجميل عامة ، فحظوظهم سيئة فى حياتهم من غير شك ،

وقلما ينصفهم التاريخ بعد الموت ، هم يثيرون فى نفوس الأحياء ضروباً من الحقد وألواناً من الضغينة . هـذا ينفس عليهم لأنه لم يوفق الى حظهم من الاجادة ، ولم يظفر بمثل ما ظفروا به من إعجاب الناس ، وكان خليقاً أو كان يرى نفسه خليقاً بالاجادة والاعجاب . وهذا يتنكر لهم لأن الحسد قد ركب فى طبعه ، ولأن غريزته قد فطرت على الشر وحب الأذى . وهـذا يتنقصهم لأنه لم يفهمهم أو لم يذقهم ، ولأن فنهم لم يقع من قلبه موقع الرضى، ولم ينزل من نفسه منزلة الموافقة، وهم يحتملون ذلك ويتعرضون له ويعللون أنفسهم بأن المرء لن يكفر بحقه من الانصاف والعدل ما عاش . ولـكن التاريخ قائم ينصف المظلوم ويقضى فى أمره بالعدل والقسط، يعللون أنفسهم بهذا ويتعزون به عما يلقون فى حياتهم من الأذى ، وما يحتملون فيها من الألم. وهذا خير لأنه يعصمهم من اليأس ، ويحميهم من القنوط ويذود عنهم عوادى الضعف والفشل . ولـكن التاريخ ليس أشد إنصافاً ولا أدنى الى العدل من آراء الأحياء المعاصرين ، لأن الناس دائماً طوع شهواتهم وعبيد أهوائهم . وهم متأثرون بهذه المؤثرات المختلفة التى تضطرهم الى ظلم الأحياء ولا تعفيهم من ظلم الموتى . ولقد

وجدت شيئاً غير قليل من الألم اللاذع والحزن المضنى حين قرأت فصلا لأناتول فرانس يصور هـذا اللون القاتم من يأس الأديب .

كتب أناتول فرانس هذا الفصل حين استقبل الشاعر الفرنسى المعروف لكونت دى ليل فى المجتمع اللغوى الفرنسى وكان هذا الشاعر قد دخل هذا المجمع معيناً لا منتخباً ، كما هى العادة ، أو قل إن كنت تريد التحقيق دخله بوصية من فكتور هوجو، أوصى له بكرسيه فى المجمع قبل أن يموت ، ولم يستطع المجمع أن ينكر وصية الشاعر العظيم فأنفذها ، وقبل لكونت دى ليل بين أعضائه مع أنه كان قد رفضه قبل ذلك باجماع لم يشذ عنه الا فيكتور هوجو نفسه، وآن موعد استقبال العضو الجديد فى المجمع ، فكتب أناتول فرانس قبل هذا الاستقبال بأسبوع فصلا لاذعا فى جريده الطان ـ تجده فى الجزء الأول من الحياة الأدبية ـ سخر فيه من الشاعر سخرية مرة مضحكة ، وتنبأ بما سيقوله فى خطبته . وأنت قد تعرف أسلوب أناتول فرانس ومذهبه فى السخرية والاستهزاء . فلما كان يوم الاستقبال نهض الكسندر دوماس الصغير ـ كما يقولون ـ لاستقباله، فلم يكن أقل من أناتول فرانس سخرية

ولا استهزاء . كان لكونت دى ليل متشائماً ينكر الحياة ويؤثر الفناء ، فاسمع لخطيب المجمع اللغوى وهو يستقبله ويرحب به ، كيف يسأله : إذا كنت تكره الحياة فما بقاؤك فيها ؟ ! وإذا كنت تؤثر الفناء فما أحجامك عنه وامتناعك عليه ؟ !

وتكلم المستقبل وتكلم العضو الجديد عن فيكتور هوجو فأما العضو الجديد فزعم أن الأجيال المقبلة ستعجب بآثار فيكتور هوجو كلها ، وأما المستقبل فزعم أن الأجيال ستقضى فى هذه الآثار قضاءاً قاسياً فتقبل منها وترفض . فلما انصرف أناتول فرانس من هذه الجلسة كتب هذا الفصل المحزن الذى أشرت اليه آنفاً والذى أنكر فيه أن تكون الأجيال المقبلة أحق بالانصاف وأقدر عليه من الأجيال المعاصرة . وانتهى الى أن فكتور هوجو كان صاحب فن فى الألفاظ قليل الحظ من التفكير فلسفته سخف ، وأنبأنا بأن الذين أعجبوا بفكتور هوجو حياً قد أخذت تخيب آمالهم فيه بعد أن مات . وتنبأ بأن الأجيال المقبلة لن تستبقى من شعر فكتور هوجو الا شيئا قليلا .

كذلك كان يتحدث أناتول فرانس وأمثاله عن فكتور هوجو ولما يمض على موته أكثر من عامين ، أرأيت حظ الأدباء ؟

يتعرضون لسخط الأحياء ويصلون نار النقد ما عاشوا. فأذا ماتوا فاما أن يتعرضوا للنسيان واما أن يتعرضوا للظلم والجور. وقليل منهم من ينصفه التاريخ فيعرف له مكانته وحقه من الاعجاب.

ما أجدر الذين ينقدون الأدباء ويؤرخونهم بعد الموت أن يكونوا رحماء لولا أن العلم لا يعرف الرحمة، وهو يخشى على نفسه الفساد إن طمع فيها أو اطمأن اليها.

ليس للاديب أمل فى الانصاف فليتخير بين حياة: خيرها شر وحلوها مر، وبين الاعراض عن الأدب والانصراف عنه الى غيره من فنون الحياة.

(٢)

ظهر الشعر العربى حين عرفه التاريخ فى نجد، لا يكاد يتجاوزه إلى الحجاز أو الى العراق الا قليلا، حين يرتحل الشعراء غربا الى الأسواق والحج أو شرقا الى أمراء الحيرة، وربما زار شعراء نجد أمراء غسان فى أطراف الشام مما يلى جزيرة العرب، فلما ظهر الاسلام وانبسط سلطانه على الأرض ظلت دوحة الشعر فى نجد، ومدت ظلها الى العراق شرقاً، والى الحجاز غرباً. ولكنها لم تمد هذا الظل الى الشام ولا الى مصر، ولم تتجاوز به العراق الى فارس وما يليها من بلاد

الشرق . وإنما كان شعراء نجد والعراق والحجاز يفدون الى الشام وفوداً يمدحون الخلفاء ويأخذون جوائزهم ، وربما وفدوا الى مصر يمدحون أمراءها ، وربما دفعت الأحداث ببعضهم الى خراسان . ولكن الشعر العربى لم يستوطن شرقى الدولة الاسلامية ولا غربيها ، ولم يتجاوز الجزيرة العربية إلا الى العراق الذى كان يعد جزءاً منها أو كالجزء . فلما أديل لبنى العباس من بنى أمية نشأ فى العراق شعر ، لم يثبت له شعر نجد ولا شعر الحجاز . فاستأثر العراق بالشعر طوال القرن الثانى ، وظلت بلاد الشام ومصر كما كانت يزورها الشعر ولا يستقر فيها . ثم ظهر فى الشام شعر شامى مثّله أبو تمام وأخذ الشام منه ذلك الوقت بحظه من الزعامة فى الشعر . وكان القرن الرابع وكانت دولة الحمدانيين ، وكان سيف الدولة فاستأثر الشام بما كان العراق قد استأثر به فى القرن الثانى ، وبما كان موزعاً بين العراق ونجد والحجاز فى القرن الأول ، وبما كان نجد قد استأثر به قبل ظهور الاسلام . وظلت مصر طوال هذه القرون ضعيفة الحظ من الشعر ، ضعيفة الحظ من الأدب كله ، يفد أهلها الى الحجاز أو العراق أو الشام فيصيبون من ذلك حظاً ، وقد ينتقل اليهم نفر من أدباء

الحجاز أو العراق أو الشام فيلبون إلماماً ، أويطيلون المقام . ولكن لم يكد يضعف أمر العباسيين فى العراق والشام ، ولم تكد تظهر القوة السياسية لمصر أيام الفاطميين حتى أخذ كل شيء يدل على أن القاهرة تتهيأ فى القرون الوسطى لما تهيأت له الاسكندرية فى العصر القديم ، تتهيأ لايواء الحضارة الاسلامية بما فيها من علم وأدب وفن وفلسفة ودين ، كما تهيأت الاسكندرية لحماية الحضارة اليونانية ، تتهيأ لتكون قبلة الشرق الاسلامى ، كما تهيأت الاسكندرية لتكون قبلة الشرق الوثنى والمسيحى ، وتم لها ذلك لسوء حظ الاسلام والأدب العربى .

كانت العجمة والجهل يدفعان الأدب العربى من الشرق الى مصر ، وكانت المسيحية والجهل يدفعانه من الغرب الى مصر . وكانت مصر ثابتة باسمة تستقبل ما يأتيها من الشرق وتستقبل ما يأتيها من الغرب فتؤويه وتحميه وتحوطه ، وتتيح له أن يحيا ويثمر . وكذلك ظلت مصر رافعة لواء الحياة الاسلامية والأدب العربى تظل به العلماء والأدباء ، حتى كان سلطان الترك العثمانيين واغارته على كل شيء ، وافساده لكل شيء ، وقضاؤه على حضارتين فى أقل من قرن : على الحضارة الاسلامية فى مصر ، وعلى الحضارة البيزنطية فى قسطنطينية .

فأما الحضارة البيزنطية فقد هربت جذوتها من الترك الى ايطاليا حيث أشعلت أوربا كلها فأحيتها ، وأما الحضارة الاسلامية فلم تمعن فى الهرب ولم تعبر البحر ولكنها اختبأت فى الأزهر إلى أن يأذن الله لها أن تخرج منه ، فتشعل الشرق وترد اليه الحياة .

وكذلك ظل فى مصر شعر وأدب كما ظل فى مصر علم وفلسفة . وأنا أعلم أن الشعر المصرى طوال هذه القرون لا يستطيع أن يثبت لشعر نجد والحجاز والعراق والشام ، ولكنه على كل حال شعر كان يقال ويتأرج عبيره ، ويرف نسيمه فيحيي النفوس والقلوب فى عصر ماتت فيه النفوس والقلوب أو كادت تموت . وأنا أعلم أن الشعر المصرى فى ذلك الوقت كان ضئيلا نحيفاً خفيف النفس ، لايكاد يسمع صوته ، ولكنه على كل حال كان شعراً حياً يمثل أمة حية ، ويعطف على شعوب بائسة . لجأت آلهة الشعر الى مصر فاستظلت بظلها واطمأنت الى هذا النسيم العليل الذى كان ينبعث من ضفاف النيل فيحفظ عليها ما كان قد بقى فيها من رمق . وأراد الله أن تكون مصر أسبق البلاد الشرقية الى التخلص من سلطان الترك قليلا أو كثيراً . وأراد الله أيضاً

أن تكون مصر أسبق البلاد الشرقية الى تنظيم العلاقات بينها وبين أوربا . وكان من ذلك أن سبقت مصر غيرها من البلاد الشرقية الى النهضة الأدبية . وكان من ذلك أن خرجت تلك الجذوة التى كانت مختبئة فى الأزهر فلقيت بونابرت وأصحابه . ولم تلبث أن تبعتهم إلى أوربا ، فأقامت ما شاء الله أن تقيم ثم عادت قوية ملتهبة . ولم تعد وحدها بل عشقها كثير من الأوربيين فتبعوها واستقروا معها فى مصر يحيونها وتحييهم . يبعثون فيها القوة والنشاط وتفتح لهم أبواباً من العلم والفن لم تكن لتفتح عليهم لولا أن اتصلوا بها واتصلت بهم . وكذلك ظلت القاهرة فى العصر الحديث كما كانت فى القرون الوسطى ملجأ الحضارة الاسلامية ، وميدان الالتقاء والاتصال بينها وبين الحضارة الأوربية . ويجىء عصر اسماعيل فاذا تياران مختلفان يتنازعان مصر ، أحدهما يأتى من أوربا فى كتب العلم والأدب التى يحملها الوافدون وينقلها المبعوثون فلا تلبث أن تدرس وتترجم ، والآخر يأتى من القاهرة نفسها ، يأتى من المساجد والأضرحة ودور الأعيان والأغنياء ، يخرج من مستقره مجلدات نحيفة أو ضخمة قد علاها الغبار وعبث بها البلى . ولكنه لا يكاد يصل الى بولاق او الى

غيرها من أحياء القاهرة حيث استقرت المطابع حتى يستحيل، فاذا هو سيل غزير قوى عنيف فيه كثير من الصفو وفيه قليل من الكدر . ويلتقى التياران فى عقول الشباب المصرى، فى الأزهر حيناً وفى المدارس المدنية حيناً آخر فينتج من التقائهما هذا الجيل الأدبى الجديد الذى ظهر على رأسه البارودى والذى نشأ فى حجره شوقى وحافظ فى الثلث الأخير من القرن الماضى .

(٣)

وقد تقارب مولد الشاعرين ، ولد أحدهما (شوقى) سنة ١٨٦٨ وولد الآخر (حافظ) سنة ١٨٧١ تقارب مولدهما فى الزمان ولكن نشأتهما اختلفت اشد الاختلاف . ولد أحدهما بباب اسماعيل حيث البأس والعزة ، وحيث الغنى والثروة ، وحيث الترف والنعيم ، وحيث هذه العناصر الكثيرة المتباينة التى تبعث الحياة فى ناحية من أنحاء النفس ، وتبعث الموت منها فى ناحية أخرى ، وحيث هذا الاعتزاز بالنفس والازدراء للشعب ، وحيث هذه الأثرة التى تخيل الى صاحبها أن كل شىء مسخر له وأنه هو لم يسخر الا ليستأثر بنعيم العيش .

وولد الآخر فى ناحية مظلمة متواضعة من نواحى مصر ، فى أسرة مصرية لاحظ لها من غنى ولا ثروة ، لانصيب لها من بأس ولا سلطان . أسرة من هذه الأسر التى تمتلىء بها مدن مصر وقراها والتى تعودت منذ أيام المماليك أو قبل أيام المماليك أن تشقى ليسعد غيرها ، وأن تعمل ليكسل غيرها وأن تتألم فى صمت وتحتمل المكروه فى صبر واذعان. ولكن أمر هذه الأسر كان قد أخذ يتغير فى هذا الوقت ، فأتيح لهذه الظلمة التى كانت تغمرها وتحيط بها أن تنقشع عنها بعض الشىء ، وأتيح لهذا الشعور الذى كان مغلولا ان يجد شيئاً من الحدة ، وأتيح لهذا العقل الذى كان مغلولا أن ينطلق من عقاله بعض الشىء .

نشأ شاعرنا الأول فى بيئته تلك فذهب الى الكتاب ثم الى المدرسة ، ونشأ شاعرنا الآخر فى بيئته هذه فذهب الى الكتاب ثم الى المدرسة . كانا جميعاً يلقيان الفقيه فى الكتاب والمعلم فى المدرسة ولكن كلا منهما كان يعود إلى بيئته الخاصة . فأما شوقى فقد كان يجد من بيئته الأرستقراطية مايضعف فى نفسه أثر الكتاب والمدرسة ، وأما حافظ فقد كان يجد من الفقيه والمعلم صدى لحياة أسرته الخاصة ومن هنا كانت نفس

شوقى أرستقراطية رغم ديموقراطية الكتاب والمدرسة ، وكانت نفس حافظ ديموقراطية خالصة .

وجهت الظروف حافظاً نحو الحرب ، ووجهت السياسة شوقى نحو القصر . والتقى الشاعران آخر القرن الماضى فى ميدان واحد هو ميدان الشعر . وكان أحدهما قد تعلم ولكن فى عزة ونعيم ، وارتحل ولكن الى حيث اللهو واللذة والى حيث العلم والأدب والفن ، وإلى حيث الطبيعة المبتسمة والجمال المضىء . وكان الآخر قد تعلم ولكن فى فقر وبؤس وارتحل ولكن إلى حيث الكد الذى لايفيد ، والعناء الذى لايغنى ، إلى حيث الشمس المشرقة أبداً ، المحرقة أبداً ، إلى حيث الطبيعة المظلمة ، الى حيث الجمال الجافى الغليظ ـ ان صح أن يكون الجمال جافياً غليظاً ـ إلى حيث الجهل الذى لا غور له والظلمة التى لا يتميز فيها شىء . مضى كل من الشاعرين فى طريقه . هذا مبتسم سعيد يتغنى ، وهذا مكتئب محزون يشكو . ثم عاد كل من الشاعرين إلى القاهرة ، فأما أحدهما فالى حيث كان ينتظره المنصب واللقب والثروة والترف وفراغ البال . وأما الآخر فالى حيث كانت تنتظره البطالة والشوارع والقهوات المنحطة والفقر والشظف وسوء الحال ، وهذا الهم

الثقيل الكالح الذى يضاجع الفقير اذا أوى إلى سريره، ويكشر له عن أنيابه إذا أراد أن ينظر إلى وجه الصبح . ثم يجالسه على مائدته المتواضعة ، ويعينه على أن يلبس ثيابه الرثة، ويرافقه حيث ذهب ويرافقه حيث جاء ، ويبعث فى صوته ـ مهما يكن حلواً عذباً ـ رنة حزينة مظلمة ، ويلقى على نفسه ـ مهما تكن صافية ـ غشاء مظلماً مفسداً لصور الأشياء والناس جميعاً .

نعم عاد الشاعران الى القاهرة فى هذه الحال ، واستقبل كل منهما أهل القاهرة بما أمكن أن تتغنى به نفسه من الشعر ، وسمع أهل القاهرة غناء حافظ وغناء شوقى فأعجبوا بشوقى وأحبوا حافظاً ، وكذلك انتقل إعجاب القاهرة بشوقى الى أهل مصر ثم الى أهل الشرق العربى ، وانتقل حب القاهرة لحافظ الى أهل مصر ثم الى أهل الشرق العربى ، ثم مات حافظ فحزنت عليه مصر والشرق حزن المحب ، ومات شوقى فحزنت عليه مصر والشرق حزن المعجب .

(٤)

كنت مرة عائداً مع الاستاذ لطفى السيد بعد أن حضرنا اجتماعاً لتخليد ذكرى حافظ قبل أن يموت شوقى ، وكنا نتحدث فى أمر الشاعرين فقال لطفى بك : « لقد خدعنى

حافظ عن نفسه كما خدعنى شوقى عنها ! كنت ألقى حافظاً أول عهده بالشعر وكان يسمعنى كثيراً من شعره فلا يعجبنى ، فقلت له ذات يوم: أرح نفسك من هذا العناء ، فلم يخلقك الله لتكون شاعراً ! ولكنه لم يقبل نصحى وحسناً فعل ، فما زال يجد ويكدح حتى أرغم الشعر على أن يذعن له وأصبح شاعراً وكنت شديد الاعجاب بشعر شوقى أقرؤه فى لذة تكاد تشبه الفتنة وأثنى عليه كلما لقيته ، فما زال شوقى يكسل ويقصر فى تعهد شعره حتى ساء ظنى بشعره الأخير ! » .

كذلك كان يتحدث الى الأستاذ لطفى السيد فى حافظ وشوقى. وكذلك يتحدث إلىَّ ديوان حافظ وديوان شوقى. لا أكاد أبدأ الجزء الأول من ديوان حافظ حتى أجد تلميذاً ضعيفاً شديد الضعف ، مضطرباً عظيم الاضطراب . مقلداً مسرفاً فى التقليد. ولا أكاد أقرأ الديوان القديم لشوقى حتى أجد طبيعة خصبة ، وقلباً فطر على الذكاء ، وخيالا حراً أريد له أن يكون مطلقاً فأبت له البيئة والظروف الا أن يكون مقيداً مغلولا. ومن الغريب أنك تقرأ الديوانين فترى حافظاً يقلد ويشعر بأنه مقلد ، ويلتمس الاجادة فى هذا التقليد نفسه ، ولا يتحرج من اعلان ذلك الى الناس ، بل لا يتحرج من التمدح به.

ويقرأ ديوان شوقى فترى شوقى يبتكر أو يحاول أن يبتكر، وهو يشعر بذلك ويعلنه الى الناس ويتمدح به، ولكنك تجد فى هذا نفسه عنصر الفساد الذى سيقص من جناح شوقى ويضطره الى أن يكون أشبه بالطيور الداجنة منه بالطيور التى تسبح فى الهواء ما اتسع لها الجو. تقرأ مقدمة ديوان حافظ. فاذا هى تحصر المثل الأعلى فى محاكاة الشعراء المتقدمين من شعراء العصر الأموى والعباسى، وتقرأ مقدمة شوقى فاذا هو يلم بالشعراء المتقدمين إلماماً ويعجب بهم اعجاباً لا يخلو من التحفظ ولا يبرأ من التردد، ويعلن اعجاباً عريضا بالأدب الأوربى وينبئنا بأنه مجدد لا يقلد الا كارها، ولكنه ينبئنا فى الوقت نفسه بأنه قد وضع لنفسه فى حياته الأدبية قاعدة ذكرها نثراً فى هذه المقدمة وذكرها شعراً فى الديوان حيث يقول:

ان الأراقم لا يطاق لقاؤها
وتنال من خلف بأطراف اليد

فهو لايستقبل التجديد ولكن يستدبره. وهو لايدخل البيوت من أبوابها ولكن يأتيها من ظهورها. وهو لا يجدد فى صراحة وشجاعة وثبات للخصوم، ولكنه يجدد فى لباقة

ومداورة والتواء على المناهضين . وكأن هذه القاعدة قد صيغت من طبع شوقى فسيطرت على حياته الأدبية وسيطرت على حياته الشخصية أيضاً . فهو لم يواجه الناس بتجديد عنيف فى الأدب قط ، وهو لم ينهض لخصومة ناقد من نقاده ، بل لم يجرؤ على أن يلقى نقاده بالعتب ، وانما كان يعاملهم معاملة الأراقم لا يلقاهم ولكنه يأخذهم من خلف بأطراف اليد . يغرى بهم ويؤلب عليهم ثم يلقاهم باسما وادعاً ، ولا يتحرج من زيارتهم واستزارتهم كأنهم من أحب الناس اليه ، ولم يكن فى حياته اليومية عدو ظاهر انما الناس جميعاً أصدقاؤه وخلصاؤه ، يظهر لهم صفحة واضحة نقية ، ومن وراء هذه الصفحة صفحات بيض وصفحات سود . تلقاه فى الجهاد ، وتلقاه فى الاتحاد ، وتراه فى السياسة ، وتراه فى الاهرام ، وتراه فى بار اللواء وتراه فى « البعكوكة » هادئاً دائماً لا يضطرب منخفض الصوت قلما تسمعه دون إصغاء اليه .

كانت هذه القاعدة صورة لطبيعته ، وأى غرابة فى هذا ! لقد ولد بباب القصر ، ونشأ فى ظل القصر ، وقضى شبابه وكهولته عاملا فى القصر ، وفى القصر . حين كان سلطان القصر مطلقا أو كالمطلق ثم حين كانت حياه القصر مداورة مستمرة بين

الشعب الطامع فى الحرية والانجليز المعتدين عليها فليس غريباً أن يكسب شوقى فى حياته الأدبية والشخصية هذه السياسة التى تحمى صاحبها ، وتضمن له الظفر والسلامة معاً .

وعلى عكس هذا كان حافظ أقل الناس حظاً من المهارة ، وأيسرهم نصيباً من المداورة ، وأعظمهم قسطاً من الصراحة ما وسعتـــه الصراحة ، فان ضاقت به فالخوف الصريح ، والاشفاق الذى لاغبار عليه .

لقيته مرة عند صاحب الدولة محمد محمود باشا ، فأنشدنى شعراً له يمدح به صاحب الدولة ، ويثنى فيه على جهوده وبلائه فى مفاوضة الانجليز . وكنت أعرف منه هذا الضعف وأحب أن أداعبه ، فقلت له ـ والرئيس يسمع ومن حوله جماعة من الاحرار الدستوريين ـ : « ما أجمل هذا الشعر وماأقواه ! »

قال : « أتسمعون ؟ سجلوا عليـه فانه خليق بعد ذلك أن ينقدنى »

قلت : « اشهدوا على أنى مستعد للثناء على حافظ فى غير تحفظ إذا نشر هذا الشعر »

قال مقهقهاً : « اذمنى ماشئت فى غير تحفظ ، فلن أنشر هذا الشعر لأنى لا أريد أن أحال على المعاش الآن » قلت :

« فانى سأنشر فصلا عنك كله ثناء وسأستشهد ببعض هذا الشعر » وكنت قد حفظت منه شيئاً . قال : « ولا هذا ايضاً » وقضى المجلس وقتاً طويلا فى الضحك من اشفاق حافظ .

وكذلك كان حافظ مع النقاد يخافهم كما كان يخافهم شوقى ، ولا يثبت لخصومتهم كما لم يكن شوقى يثبت لخصومتهم . ولكنه لم يكن يغرى بهم أحداً ، ولا يؤلب عليهم أحداً ولا يأخذهم من خلف بأطراف اليد ، وانما كان يعبث بهم اذا تحدث الى اصحابه ، ويعبث بهم اذا لقيهم ، ويتلطف لهم فى كل حال .

كان شوقى بجدداً ملتوى التجديد، وكان حافظ مقلداً صريح التقليد ، ويمضى الزمن على حافظ وشوقى فاذا تقليد حافظ يستحيل ـ لا أقول الى تجديد بل أقول الى نضوج غريب وقوة بارعة وشخصية تفرض نفسها على الأدب فرضاً . واذا تجديد شوقى يستحيل شيئاً فشيئاً الى تقليد ، حتى اذا كانت أعوامه الأخيرة كانت قصائده كلها تقليداً ظاهراً للقدماء من الشعراء ، لا يتستر فيه ولا يحتاط . ينشىء القصيدة فلا تحتاج الى تعب أو مشقة لتجد القصيدة القديمة التى يحاكيها ، سم هذا معارضة أو محاكاة أو تقليداً ، فذلك عندى سواء لأنه ينتهى الى نتيجة

واحدة ، وهى أن الشاعر قد رجع إلى القدماء يلتمس عندهم مثله الأعلى . ومع ذلك فمن الخير أن نتعرف طبيعة الشاعرين ومزاجهما الفنى ، والينبوع الذى كانا يستقيان منه .

(٥)

فأما طبيعة حافظ فيسيرة جداً ، لاغموض فيها ولا عسر ولا التواء ، وهذا اليسر هو الذى يحببها الينا ، وهو الذى يجعلها فى الوقت نفسه فقيرة قليلة الحظ من الخصب والغنى ، حافظ تلميذ صريح للبارودى قلده منذ نشأ ، ثم تشجع فقلد المتقدمين الذين كان يتأثرهم البارودى نفسه . وكما كان علم البارودى بالأدب محدوداً لا يتجاوز الأدب القديم يحفظه وقلما يفقه عميقه ، فقد كان علم حافظ محدوداً كذلك . كان حافظ يعلم بالفرنسية ولكنه لم يكن يتقنها لا نطقاً ولا فهما . سنقول ولكنه ترجم البؤساء . واشترك فى ترجمة كتاب فى علم الاقتصاد مع صديقه مطران . وهذا حق فقد ترجم البؤساء أو مقداراً من البؤساء ولكن فى أى مشقة ومع أى جهد ! رحم الله حافظاً ، لقد لقى فى ترجمة البؤساء عناء عظيما ، عناء فى الفهم ، عناء فى استشارة المعاجم ، وعناء فى الصيغة العربية نفسها . وكثيراً ما كان حافظ يعجز عن فهم فكتور هوجو فيقيم نفسه مقامه

ويعوضنا من معنى الكاتب الفرنسى لفظه هو بما فيه من جمال وجزالة وروعة ، أما كتاب الاقتصاد فسل صديقه مطران ينبئك بالخبر اليقين. لم يستفد حافظ اذاً لأدبه وشعره من اللغة الفرنسية شيئاً يذكر، فهو غير مدين لأوربا بشيء من أدبه . ثم لم يكن حافظ فقيهاً بالأدب العربى اذا توسعنا فى معنى هذا الأدب . لم يكن يحسن علوم العرب ولا فلسفتهم ، بل لم يكن يعرف من هذه العلوم والفلسفة شيئاً . انما كانت ثقافته من كتاب الأغانى ودواوين الشعراء ، وكان يفهم الأغانى والدواوين بقدر مايستطيع ، فيصيب كثيراً ويخطىء أحيانا . ويكفى أن تقرأ مقدمة ديوانه وتراه يزعم أن السفاح قد أفنى أمة بأسرها ليبتين من الشعر قالهما سديف ، لتعلم الى أى حد بلغت ثقافة حافظ ، فلم يفن السفاح أمة وانما نكل بالأسرة الاموية تنكيلا شديداً لم يفنها ولم يبدها . ولكن حافظاً كان يظن فى أول هذا القرن أن إفناء الأمويين افناء لأمة .

غنيت ذاكرة حافظ ، ولكن عقله ظل فقيراً ، فاعتمدت شاعريته على الذاكرة من جهة ، وعلى الحياة المحيطة به من جهة أخرى . استمدت موضوع شعره من هذه الحياة واستمدت صورة شعره من تلك الذاكرة . وكانت ثقافة حافظ العقلية

محدودة فلم ينفذ عقله الى طبائع الأشياء، ولم يصل الى أسرارها فعجز عن اجادة الموضوع، ولكن ذاكرته كانت قوية جداً وكان حظه من الحفظ غريباً. وكان قد ابتكر لنفسه سليقة عربية أو قل سليقة اعرابية فأتقن الصورة وبرع فيها، وكان أقرب تلاميذ البارودى الى البارودى.

تجد هذا الشعور حين تقرأ الفنون الشعرية التى برع فيها حافظ، حين تقرأ رثاءه وشكواه للزمان، وتصويره للسياسة والاجتماع. لن تجد فى هذا الشعر عمقا. ولئن حللته وأخرجته من صورته الرائعة فلن يترك فى نفسك أثراً ولكنك واجد فى صورته نفسها، فى الألفاظ التى يتخيرها الشاعر فى الأسلوب الذى يلائم به بين هذه الألفاظ، ما يملأ نفسك لوعة وحزناً وحباً وإعجابا. كانت نفس حافظ بسيطة يسيرة لا حظ لها من عمق ولا تعقيد، وكانت لهذه الخصال نفسها محبّبة الى الناس مؤثرة فيهم. وكان شعر حافظ صورة صادقة لهذه النفس البسيطة اليسيرة فأحبوه كما أحبوا مصدره، وأعجبوا به كما أعجبوا بينبوعه.

ولما كانت نفس حافظ فى جوهرها نفساً مصرية كانت قطعة من هذه النفس المصرية الاسلامية، التى تجد بساطتها

وسذاجتها فى كل أثر من آثار المصريين المسلمين ، فلم لايحبها الناس وانما يرون فيها أنفسهم ؟ ولم لايعجب بها الناس وإنما ينظرون فيها الى صورهم ، تعكسها مرآة صافية وضيئة نقية لايشوبها صدأ ولا يغشاها غبار ؟

(٦)

هذه طبيعة حافظ يسيرة كما ترى ، أما طبيعة شوقى فشىء آخر ، معقدة ينبئنا شوقى نفسه بتعقيدها . فيها أثر من العرب وأثر من الترك وأثر من اليونان وأثر من الشركس . التقت كل هذه الآثار ومافيها من طبائع واصطلحت على تكوين نفس شوقى ، فكانت هذه النفس بحكم هذه الطبيعة أو الطبائع أبعد الأشياء عن البساطة وأنآها عن السذاجة ، وهى بحكم هذا التعقيد والتركيب خصبة كأشد مايكون الخصب ، غنية كأوسع ما يكون الغنى . ثم لم تكد هذه النفس الخصبة الغنية المتوقدة تتصل بالحياة حتى لقيت من حوادثها وتجاربها ، ومن كنوزها وغناها مايزيدها خصباً الى خصب وثروة الى ثروة .

كان شوقى يحسن التركية وكان متقناً للفرنسية ، قد برع فيها نطقاً وفهماً . وكان فى أول أمره كثير القراءة حريصاً على الفهم فقرأ كثيراً وفهم كثيراً وتمثلت نفسه ماقرأ ومافهم ، وانضم

الى هذه العناصر التى كانت تركب طبيعته عنصر جديد هو العنصر الفرنسى الذى عمل فى عقله وخياله ومزاجه كله ، ونمت العناصر الأخرى بالقراءة وبالحياة . عاشر شوقى العرب فى شعرهم وأدبهم فعظم حظه من العربية ، وعاشر الترك فى حياته اليومية ، واتصل بهم أشد اتصال فعظم العنصر التركى فيه . ولسوء حظ الأدب الحديث لم يعاشر شوقى قدماء اليونان كما عاشر قدماء العرب، ولو قد فعل لأهدى الى مصر شاعرها الكامل.

كان شوقى فى أول أمره مثقفاً يحب الثقافة ويشتد فى طلبها والتزيد منها ، ولكنه كان كغيره من الشبان المصريين يسيرون فى الدرس والتحصيل على غير هدى ، ولا سيما حين يدرسون فى أوربا ، لا يقرأون من الأدب الفرنسى مثلا إلا ما لابد للرجل المثقف من قراءته ، من هذه الآثار العليا التى فرضت نفسها على الناس فرضاً ، فأما التأنق فى الثقافة والتماس الترف فى الأدب فلا حظ لهم منه . كذلك كان شوقى حين ذهب الى فرنسا آخر القرن الماضى . إذا ذكر الشعر الفرنسى ذكر لامارتين وبحيرته التى ترجمها الى العربية ، أو ذكر لافونتين وأساطيره التى قلدها فى العربية ، واذا ذكر الفلسفة ذكر جول سيمون ، ومن المحقق أن آثار لامرتين

ولافونتين آيات فى الأدب الفرنسى، وأن فلسفة جول سيمون لها قيمتها. ولكنك لا تلاحظ أن شوقى يذكر بودلير أو فرلين أو سولى برىدوم أو مالرميه من الشعراء الفرنسيين، ولا تراه يذكر تين أو رينان أو برجسن من الفلاسفة. ذلك لأنه لم يكن يسير فى ثقافته على هدى، وانما كان يأخذ من الأدب الفرنسى أيسره وأدناه الى متناول اليد. وكذلك كان تجديد شوقى متأثراً بهذا الحظ من الثقافة الفرنسية، أى أنه كان يتأثر بالقديم الفرنسى أكثر مما كان يتأثر بالجديد. ولو قد اتصل شوقى بالمجددين الذين عاصروه فى شبابه من شعراء الفرنسيين لسلك شعره سبيلا أخرى. ولكنه لم يفعل، ولكنه لم يطلق لطبيعته على ما هى عليه حريتها، بل قيدها وردها كارهة على أن تتأثر فى إنتاجها الأدبى بسياسة القصر حينئذ وما كان يحيط به من الظروف. ولو قد أطلقها أو أرسل لها العنان بعض الشىء لغيرت حياة الشعر العربى الحديث. ولست فى حاجة الى أن أتكلف المشقة فى الاستدلال على ذلك، فقد كانت طبيعه شوقى من الخصب والقوة بحيث لم تكن تذوق أثراً أدبياً يمكن محاكاته إلا حاولت هذه المحاكاة وجدّت فيها. وكانت توفق أكثر الأحيان فى هذه المحاكاة توفيقاً عظيما.

فلو أن شوقى قرأ الالياذة والأودسا كاملتين وفهمهما حق الفهم وأطلق لنفسه حريتها لحاول أن ينشىء الشعر القصصى فى اللغة العربية. لا أقول على نحو ما كانت الالياذة والأودسا من الطول ، ولكن على نحو ما كانت الالياذة والأودسا من الفن . ولو أن شوقى قرأ تمثيل اليونان وتمثيل المحدثين وأطلق لطبيعته حريتها لعنى بالتمثيل شعراً ونثراً فى شبابه ولأعطى اللغة العربية من هذا الفن حظاً له قيمة صحيحة . ولو أن شوقى قرأ شعر الشعراء الفرنسيين الذين عاصروه فى شبابه ، ولو أنه اختلف الى أنديتهم فى باريس حين كان يقيم فيها (ولم تكن أنديتهم مغلقة) لتغير مثله الأعلى فى الشعر، ولما نظر الى القدماء من العرب ولا الى لامارتين ولافونتين وأضرابهما من الفرنسيين إلا كما ينبغى ان ينظر اليهم الشاعر الحديث . أى من حيث أنهم يكونون أصل الثقافة ومن حيث أنهم يمتعون القارىء باللذة الفنية ، لا من حيث أنهم المثل العليا للشاعر فى هذه الأيام . ولكن شوقى قصر بنفسه عن هذه المنزلة أو قصرت به الظروف ، اما لأنه لم يقرأ كما كان ينبغى أن يقرأ ، واما لأنه لم يعمل كما كان ينبغى أن يعمل ، تقصير فى القراءة ومجاراة الانتاج الأدبى الأجنبى من جهة ، وتفريط فى

ذات الحرية الأدبية، وخضوع لأحكام السياسة من جهة أخرى. هاتان الخصلتان هما اللتان قصتا جناحى شوقى فلم يستطع أن يرتفع الى حيث كانت تعده طبيعته من سماء الشعر والخيال. وأغرب من هذا وأبلغ فى الحزن والأسى أن هذه الطبيعة البارعة التى لم تعرف مصر مثلها فى عصرها الاسلامى العربى. والتى لم يعرف التاريخ الأدبى العربى مثلها منذ كان أبو العلاء لم توجه الى فهم الآيات الأدبية الخالدة فى الآداب الأجنبية، ولم تتعمق فى درسها، واستكشاف أسرارها كما ينبغى. وإنما علم شوقى بهذه الآيات العليا من آداب اليونان والرومان والفرس والأوربيين على اختلافهم كان ضئيلا رقيقاً، لا هو بالعريض ولا هو بالعميق. كان شوقى يجهل حقيقة هذه الآيات فاذا عرف شيئاً منها فانما يعرفه بالشهرة، وعلى نحو ما يتعلم الناس الذين يكتفون بدوائر المعارف أو بما يكتب للطلاب فى الكتب المدرسية، وليس هناك دليل على ذلك أوضح من هذه القصيدة التى أنشأها شوقى فى شكسبير ونشرها فى الجزء الثانى من ديوانه صفحة (٥) فاقل ما يحسه قارئها أن شاعرنا لم يعلم من أمر شاعر الانجليز إلا شيئاً ضئيلا جداً يعرفه المثقف العادى، وهو على كل حال لم يفهم روح شكسبير ولم يتمثله

ولم يحسن بل لم يحاول تصوير هذا الروح . وكل ما فى القصيدة مدح لانجلترا أول الأمر ، ثم ثناء على شكسبير غريب ، يشبه فيه آيات شكسبير بالآيات المنزلة ، ويشبه معانى شكسبير بعيسى . ولست أدرى ما هذا الحسن المشترك بين معانى شكسبير وبين المسيح . بل لست أدرى كيف يذكر شكسبير المتأثر بوثنية القدماء وآداب الشمال الأوربى الى جانب المسيح ، وكيف يشبه أدب شكسبير بالانجيل . انما هو كلام يقال ويعتمد صاحبه على أن الذين سيقرءونه ستروعهم الألفاظ دون أن يبحثوا عن المعانى لأنهم لا يعرفون من أمر شكسبير ، ولا من أمر المسيح والانجيل شيئاً كثيراً . ثم يقول شوقى إن قصص شكسبير تمثل الحياة ، وكل مثقف يعرف هذا ويقول له ، بل كل مادح لشاعر من الشعراء الممثلين يقول فيه هذا ، بالحق حيناً وبالباطل أحياناً . ثم يتجه شوقى الى شكسبير فيسأله أسئلة عاديه قد ألفها الناس منذ قرأوا رثاء أبى العلاء ، وعرفوا تصويره لبلى الأجساد فى القبور . ثم يطلب الى شكسبير الذى أجرى الدم أنهاراً فى قصصه أن ينهض ليرى كيف جرى الدم بحاراً فى ظل الحضارة الحديثة ، ويذم الحرب كما يذمها كل انسان هذا علم صاحبنا بشكسبير وهذا

تصوير شاعرنا له ورأيه فيه .

وأين يقع هذا كله من آراء الشعراء الفرنسيين والألمان المحدثين فى شكسبير . وإنى لأعرف محاورات لجوت حول بعض القصص التى تركها شكسبير حول هملت مثلا فى ولهلم مايستر ، لايذكر معها ماقاله شوقى من الشعر . ومع ذلك فقد كان من الحق على شاعرنا أن يكون علمه بشكسبير أوضح من علم الألمان والفرنسيين به فى القرن الثامن عشر ، لأن فقه هذا الشاعر العظيم قد تقدم فى قرن ونصف قرن تقدماً عظيما . ومثل هذا ما يقال فى علم شاعرنا بأفلاطون وأرسطاليس . وقد لاحظت قديماً أن شوقى أراد أن يثنى على الأستاذ لطفى السيد حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطاليس فنسب الى المعلم الثانى آراء أستاذه أفلاطون ، لأنه لم يقرأ هذا ولا ذاك وانما عرف أطرافاً من فلسفة هذا وذاك فى دوائر المعارف ، وفى الكتب المدرسية . هذا التقصير فى الدرس والتحصيل ، وهذا الكسل العقلى أصاب شوقى وأصاب حافظاً ، وقصر بالشاعرين عن المكانة العليا التى كانا خليقين أن يبلغاها بطبيعتهما القويتين . وكثيراً ما نعيت عليهما ولمتهما فى ذلك . ولكن حظ شوقى من هذا التقصير

اعظم من حظ حافظ. لأن شوقى هيىء له من وسائل الثقافة العربية والأجنبية مالم يهيأ لحافظ، كما رأيت ولأن شوقى هيىء له من النعيم، وأسباب الترف والراحة ما كان يستطيع معه أن يفرغ للدرس ساعات من نهار بين حين وحين. على حين حرم حافظ كل شيء أوكاد يحرم كل شيء، وعلى حين لم يكن حافظ يزعم لنفسه ما كان يطمح اليه شوقى من مكانة ومنزلة فى الشعر.

(٧)

وتمضى الأيام على حافظ وشوقى بعد أن عرفهما جمهور الأدباء فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ويسلك كل منهما طريقه فى التطور الأدبى.

فأما حافظ فقد لقى الأستاذ الامام واتصل به وأصبح له صفياً، وماهى الا أن يتصل بأصدقاء الأستاذ، وفيهم العالم الأزهرى كالشيخ عبد الكريم سلمان، وفيهم المجدد فى الاجتماع كقاسم أمين، وفيهم القاضى الثبت الذى أدرك حظاً عظيما من المجد، ولكن أستار الغيب ما زالت مسدلة بينه وبين مستقبل عظيم كسعد زغلول، وفيهم رؤساء العشائر

والأسر الكبرى كحسن عبدالرازق وعلى شعراوى ومحمود سليمان . فيهم كل هؤلاء على اختلاف نزعاتهم وميولهم وأهوائهم ومنازلهم الاجتماعية . وهم جميعاً متفقون على أن حال الشعب سيئة وعلى أن استنقاذ الشعب من هذه الحال فرض عليهم هم قبل غيرهم من الناس ، وهم يسلكون الى هذا سبلا مختلفة . ويتصل حافظ بغير هؤلاء من زعماء السياسة الحادة والملتوية فى أول هذا القرن ، يعرف مصطفى كامل وعلى يوسف ، يتحدث الى هؤلاء جميعاً ، يأنس الى بعضهم وينفر من بعضهم الآخر، وأولئك وهؤلاء يحبونه ويؤثرونه بالمودة والبر .

فانظر الى ابن الشعب وقد رفعه الشعر الى أعلى مكانة حيث تتنافس فيه الأرستقراطية الشعبية وتحرص على قربه والأنس به ، وهو على ذلك لم يقطع صلته ولن يقطعها بأترابه من أوساط الناس، بل هو شديد الاتصال بجماعة من الشعراء والأدباء والبائسين . يأنس اليهم ويعطف عليهم ويصفيهم مودته ويبحث عنهم إن طال عهدهم به . وهم يعرفون منه ذلك ويرضون ثم يتجنون ، ثم يسرفون فى التجنى والتحكم. وأخبار إمام العبد مع حافظ رحمهما الله لا تزال معروفة

يتفكه بها الناس ، ومجالس حافظ فى قهوة متاتيا وقهوات باب الخلق وقهوات الناصرية معروفة مذكورة أيضاً .

هو إذا صديق الشعب كله ، صديق الفقراء والأغنياء وأوساط الناس ، صديق العلماء المستنيرين وصديق غيرهم من الذين لا حظ لهم من ثقافة أو ليس لهم من الثقافة إلا حظ ضئيل ، تراه فى كل بيئة وتراه فى كل مكان ، تراه فى حديقة الأزبكية يقرض الشعر ، وتراه فى الشوارع يماشى أصدقاءه باسم الثغر مشرق الوجه ، مظلم النفس ضاحكا مما يحزن ومما يسر .

خالط الناس جميعاً فأصبح هو الناس جميعاً ، وصور نفسه فى شعره فصور بها الناس جميعاً . ثم يموت الأستاذ الامام ويتبعه قاسم ويتبعهما مصطفى كامل ، ويظهر نبوغ حافظ فى الرثاء بموت هؤلاء الناس الذين كانوا أصدقاءه ، لأنهم كانوا أعلام الأمة وذخرها ، جزع أنصار الاصلاح الدينى والاجتماعى لموت الأستاذ الامام وموت قاسم ، فكان شعر حافظ أصدق صورة لهذا الجزع لا غلو فيها ولا تقصير ، ولا ضعف فيها ولا وهن . وجزع الشعب كله لموت مصطفى كامل فكان شعر حافظ صورة صادقة لهذا الجزع ، نار ملتهبة ولوعة لا حد لها وأخذت حياة حافظ تقفر من حوله بموت الأصدقاء وسوء

الحال ،فنى ولكن فى مصر ، وأبعد ولكن فى القاهرة ،وأسند اليه منصب فى دار الكتب فأصابه مثل ما أصاب شوقى . واضطر الى أن يصانع ، ويدارى ويحسب للقول حساباً ، ويكظم نفسه على ما تكره ، ويترك شعبه من غير ترجمان . رحم الله حشمت باشا ! أراد أن يبر صديقه ويحميه من البؤس والشقاء ،ويمهد له حياة ناعمة راضية فحرم أمته شاعرها وطمر أو كاد يطمر هذا الينبوع الصافى العذب . ذلك أن حافظا كان لا يزال ناشئاً فى الشعر على تفوقه وبراعته ونبوغه فى السياسة ، كان فى حاجة الى أن تحفظ له حريته واسعة مطلقة ليبلغ شعره أشده ولينبسط ظله على مصر كلها ، فجاء هذا المنصب عقبة فى سبيل النبوغ ! خيل الى حافظ والى الذين أسندوا اليه هذا المنصب أنه سيخلص من البؤس فيفرغ للشعر ، ولم لا ؟ لقد عرفت فرنسا كيف تستثمر شعراءها . ألم تسند الى الكونت دى ليل منصباً كمنصب حافظ فى مكتبة مجلس الشيوخ ، فلم يؤثر ذلك فى شعره الا أحسن الأثر جودة ونمواً وخصباً ، فلم لا يكون حافظ مثل غيره من الشعراء ؟ آه ! لأن مصر ليست كغيرها من البلاد، ولأن البيئة المصرية ليست كغيرها من البيئات . مصر فى حاجة الى المحن ، لم تألم بعد كما ينبغى،ولم

تصهرها الهموم كما ينبغى ، مصر فى حاجة الى العلم ، مصر فى حاجة الى الثروة الأدبيـة ، مصر فى حاجة الى النشاط المتصل أشد أعدائها الراحة ! وكذلك أبناؤها جميعاً وكذلك شعراؤها بنوع خاص . كان بؤس حافظ فى نفسه شرطاً لاتصال شعره ونمو نبوغه ، كان حافظ محتاجاً الى أن يظل بائساً ليرى بؤس الشعب من حوله وليحسه وليصوره . ولكن حافظ غنىَ بعد فقر ، واطمأن بعد اضطراب ، فهدأت نفسه ثم اشتد بها هـــذا الهدوء ، فضاق بالحياة وضاقت به الحياة أيضاً .

وليت حافظاً وقد فقد البؤس الذى كان سبيله الى المجد لم يفقد الحرية ! فقد كان يستطيع مع الحرية أن يجد له فى القول مذهباً . ولكن الموظفين فى مصر عبيد مهما تكن الحكومات القائمة ، يجب أن يقـدروا لأرجلهم موضعاً قبل الخطو ، وألا يقولوا الا بمقدار !

ولم يكن حافظ عظيم الثقافة ولا عميقها ، فلم يكن من الممكن ولا من اليسير أن يتجه الى تلك الفنون الشعرية الخالصة التى تصل بين الشاعر وبين الطبيعة ، والتى ليس للسياسة ولا للنظام عليها سلطان . لم تكن النجوم فى السماء ولا الرياض

فى الأرض ، ولا النيل ولا الصحراء تلهم حافظاً شيئاً ، لأن حافظا لم يكن شاعر الطبيعة ، وانما كان شاعر الناس .

فى سبيل الله هذه الأعوام الطوال التى قضاها حافظ فى دار الكتب لايعمل شيئاً ، ولايقول شيئاً ، وإنما يقضى صباحه فى الدار يعبث بالموظفين ويتندَّر عليهم ، أوعلى باب الدار يدخن سيجاره الضخم ، أوفى قهوة دارالكتب يدخن الشيشة ، فاذا كان المساء أنفق وقته بين أصدقائه فى الأندية الخاصة أو العامة !

على هذا النحو قضى حافظ ثلث حياته ، يرثى من مات ولكن بحساب ، ويقول هذا الشعر الذى يقال فى المناسبات ، والذى لايدل عادة على شىء . ولا تكاد ترد الخرية الى حافظ باحالته على المعاش حتى يتنفس ، واذا هو قد اتصل بالشعب من جديد ، واذا هو يتأهب لينفجر وليرسل زفرات الشعب ناراً مضطرمة تلتهم ما حولها ، ولكنه شيخ قد تقدمت به السن وذهبت بقوته الراحة فى دار الكتب ، وضاع نشاطه هباء مع دخان الشيشة والسيجار ، فلا تثبت قواه الفانية لهذه الأمانة الثقيلة التى نهض بها شاباً وكهلا ، وكان يستطيع أن يستقل بحملها حين بلغ الأربعين ، وحين

أسند اليه المنصب فى دار الكتب فيقضى ! وإن أصدق يقال فيه لقول الشاعر القديم فى عمر :

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها
بوائق فى أكمامهـــا لم تفتق

(٨)

وأما شوقى فيمضى فى طريقه التى رسمها لنفسه منذ أرسل من باريس همزيته التى يمدح بها الخديوى :

« خدعوها بقولهم حسناء . . . »

فطلب القصر الى الجريدة الرسمية أن تسقط الغزل وتنشر المدح ، وود الشيخ عبد الكريم سلمان لو أسقط المدح ونشر الغزل ! فلم ينشر من القصيدة شىء ، وعرف شوقى أن لابد من الاحتياط فى التجديد .

يمضى شوقى فى هذه الطريق موظفاً فى القصر شاعراً للأمير يمدحه كلما مادعا إلى ذلك داع ، وحين لايدعو الى ذلك داع يتفنن فى هذا المدح فيجيد مقدماته غزلا ووصفاً ولا يجيد فى المدح نفسه إلا قليلا .

وكان شوقى كما يقول فى مقدمة ديوانه القديم يكره المدح وينكره على الشعراء المتقدمين ويود لو برىء الشعر من

التهالك عليه والتنافس فيه ، ولكنه نشأ راغباً فى أن يتصل بالأمير ، حريصاً على أن يكون شاعرَه ، حاسداً للمتنبى على سيف الدولة ، وقد اتصل بالأمير وأصبح شاعره ، فهو سعيد بذلك يعتز به ويفاخر ويتمدح :

شاعر الأمير ، وما بالقليل ذا اللقب !

نعم ليس قليلا هذا اللقب فى رأى شوقى ، فقد كان أمنيته صبياً ، وقد كان أمنيتـــه شاباً يطلب العلم فى مصر ، ويطلبه فى أوربا ، ليس بالقليل وقد رأى شوقى مكانة « علىّ الليثى » من الأمير ومن الناس ، ليس بالقليل فى هذه البيئة التى لا تزال تذكر عهد اسماعيل وما كان فيه من رفع وخفض ومن عز وذل ، ومن سلطان للحاشية والمقربين ليس بالقليل ، بل هو قد يكون مفيداً ، قد يكون مذكياً لنار الشعر ممهداً سبيل التفوق والنبوغ اذا كان الأمير أديباً كسيف الدولة ، أو كان هم الأمير بعيداً فى الامارة والسياسة . ولكن أمير شوقى لم يكن أديباً فلم يفهم شوقى من هـذه الناحية ، ولم يكن أمير شوقى بعيد الهمة لأنه جرب بعد الهمة فساءت عاقبة التجربة ، وعرف صدق المثل القائل : « أفلح من طار بجنـــاح ، أو استسلم فأراح » ، وآثر السلامة والراحة ، وعكف على أموره

الخاصة يعنى بها وعلى ثروته الخاصة ينميها ، وأين يكون ذلك من شعر شاعر الأمير ؟

شوقى إذن كحافظ يوم نفى الى دار الكتب ، ربة شعره سجينة ، ولكنها سجينة فى قفص ذهبي هو القصر ، تتغنى ولكن بغناء فاتر متشابه بالمدح ، وقد قيد شوقى ربة شعره هذه بنفسه منذ كان فى باريس ، فلما عاد الى مصر ظهر أن القيد الباريسى لم يكن ثقيلا كما ينبغى ، فأضيفت اليه قيود وأغلال وأصبحت ربة الشعر أسيرة الأمير لا تنطق الا بما يريد وحين يريد . وكان الأمير ذكياً وكان الشاعر ذكياً أيضاً . واذا لم يتح للأمير أن يجعل من شوقى أبا الطيب كما فعل سيف الدولة ، أو فرجيل كما فعل أغسطس . فقد يستطيع الأمير أن يستعين بشوقى الذكى على تدبير أموره الخاصة ، ويستطيع شوقى الذكى أن ينال حظوة الأمير بالسياسة إن لم يستطع أن يحبب اليه الشعر . وكذلك يصبح الشعر سمة لشوقى لا صناعة ، ويستحيل الشاعر الى رجل من الحاشية ، ورجل القصر يدور حول الأمير ، ويلتوى ما التوت سياسة الأمير ، يتحفظ فى حديثه العادى فكيف به اذا مات الأستاذ الامام أو قاسم أمين أو مصطفى كامل ! وكيف به إذا جزع الشعب

لدنشواى ! وكيف به اذا طالب الشعب بالدستور !

هو شاعر الأمير فخير له أن يسكت فاذا لم يكن بد من القول فحق عليه أن يحتاط. ثم هو شاعر الأمير يجب أن يفكر ويتدبر فيما يحدث بينه وبين الناس من صلة، يجب أن يقيس صداقته وعداوته وقربه وبعده برضى الأمير وسخطه. واذاً فلن تكون بينه وبين طبقات الشعب المختلفة هذه الصلة الواضحة الصريحة. هذه الصلة التى تجمع بين قلب الشاعر وقلب الشعب الصافية لن يحس شوقى ما كان يحس حافظ من حياة الشعب، وإن أحسه فلن يستطيع الا الاعراض عنه، ليس شوقى ترجمان الشعب ولسانه، وإنما هو ترجمان الأمير ولسان الأمير. وما أشد ما كانت تتسع مسافة الخلف بين الشعب وبين الأمير. ومن هنا تستطيع أن تقرأ رثاء حافظ وشوقى لمصطفى كامل فتحس فى شعر حافظ قلب الشعب يخفق، وستترى نفسه تضطرم. وستجد فى شعر شوقى هذا البيت الذى سخر منه الأستاذ مصطفى صادق الرافعى بحق، لأنه لا يدل على شىء الا على أن الشاعر مجامل يريد أن يقول شيئا :

أو كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت فى القرآن !

ومع أن ثقافة شوقى أخصب وأغنى من ثقافة حافظ فلم

يستطع شوقى أن يفرغ للشعر الخالص فى قفصه الذهبى ، كما أن حافظ لم يستطع أن يفرغ لهذا الشعر فى دار الكتب ، لا لأن شوقى كان يؤثر الفراغ وندخين الشيشة والسيجار ، بل لأن الشخصية القوية التى كان يمتاز بها الأمير استطاعت أن تستأثر بشوقى وتفنيه فى السياسة وتدبير أمور القصر ، ويريد الله وتريد الأحداث أن تطلق ربة الشعر من عقالها ، وأن تخرج من هذا القفص الذهبى فلا تعود اليه ، ولكن بعد ماذا ؟ بعد أن أنفق شوقى ربع قرن سجينا فى كنف الأمير أو فى قصره !

حيل بين الأمير وبين الامارة والقصر ، وحيل بين حاشية الأمير وبين القصر أيضاً ، فمنهم من تبع الأمير ، ومنهم من تخلف عنه ، وكان شوقى من المتخلفين .

أفرحت ربة الشعر بحريتها ؟ أرضيت ربة الشعر بهذا الهواء الطلق تتنسمه متى شاءت ، وبهذا الجو الفسيح تطير فيه كيف أحبت ؟ وبهذه الأشجار الباسقة والحدائق النضرة تنزل منها حيث أرادت مغردة بصوتها العذب مصفقة بجناحيها القويين ؟ لست أدرى ، ولكن الذى يكرره الناس ويؤكدونه أن ربة الشعر ضاقت بحريتها أول الأمر ، وودت لو تعود

الى سجنها الجميل الذى ألفته واستعذبت المقام فيه ، ويقال إنها استفتحت باب القصر بتلك القصيدة المشهورة الجميلة :

الملك فيكم آل اسماعيلا ... لا زال بيتكم يظل النيلا

والتى يقول فيها هذا البيت المشهور :

أأخون اسماعيل فى أبنائه ... ولقد ولدت بباب اسماعيلا!

ولكن باب القصر لم يفتح وأعرض الشاعر عن أميره ، فلم يلحق به ، وأعرض القصر عن شاعر الأمير فلم يفتح له ، وما هى الا أن يظلم الشاعر ، يظلمه الأجنبي فتضيق به أرض مصر ويؤمر بالرحيل ، فالى أين يذهب ؟ أيذهب الى قسطنطينية حيث أخواله وعمومته من الترك وحيث الأمير ؟ أم يذهب الى فرنسا حيث الشباب الغض والذكرى المبتهجة ؟ ولكن الحرب فى قسطنطينية والأمير فى قسطنطينية ، ولكن الحرب فى فرنسا والحرب فى اكثر بلاد أوروبا. هنا اختارت ربة الشعر وطناً من أوطانها ففكرت فى أسبانيا واستقرت فى الأندلس . ولم تكن ربة الشعر فرحة ولا مبتهجة ، وانما كانت محزونة عميقة الحزن، محزونة على القصر ، محزونة على الوطن ، محزونة على هذه الآمال التى قضبت قضباً ، وربة الشعر تحيي النفوس دائماً متى تغنت . تحييها بالغناء الفرح وتحييها بالغناء الحزين . وقد تغنت

ربة الشعر فى الأندلس فأحيت نفوس المصريين ، وأذكت فى هذه النفوس جذوة الوطنيـة ، ووصلت قديم العرب فى الأندلس بجديدهم فى مصر . إيه يا ربة الشعر ! احزنى على سجنك ما استطعت وابكى عليه ماشئت ، فان حزنك يملأ نفوسنا بهجة ودموعك تنقع ما فى قلبنا من ظمأ . لقد وجدناك بعد أن فقدناك ، لقد رضيت فى ظل القصر فغضبنا . فتعلى الآن شيئاً من الايثار فى المنفى ، اغضبى أنت واسخطى لنبتهج نحن ونرضى !

وكذلك حياة الشعراء ، قد صورها العباس بن الأحنف فأحسن تصويرها فى هذا البيت :

كنت كأنى ذبالة نصبت تضىء للناس وهى تحترق

وتضع الحرب أوزارها ويؤذن للشاعر أن يعـــود الى وطنه فيعود قوياً شديد النشاط . ولكنه لا يكاد يبلغ القاهرة حتى يرى القصر فيحن اليه ويدنو منه ، والقصر لا يعرفه ولا ينكره ، لا يدنيه ولا يقصيه . إيه ربة الشعر ! ليس الى السجن سبيل . اقنعى إذاً بهذه الحياة الحرة ، انظرى ، إن همك لبعيد وانك لمسرفة فى الطمع . ماذا ؟ اتضيقين بالحرية ! وان الشعب المصرى من حولك ليسفك دمه فى سبيل الحرية ! لا ترفعى

بصرك الى السماء، فان النجوم باقية والشمس باقية، وقد تستطيعين أن تنظرى الى النجوم والشمس بعد حين . ولكن اخفضى بصرك ، انظرى الى الأرض ، لن ترى عليها ذهب اسماعيل ولكنك ستجدين عليها دم أبناء النيل يراق فى سبيل هذه الحرية التى تضيقين بها وتنفرين منها ! ويخفض الشاعر بصره الى الأرض ويرى الشاعر أمته تراق دماؤها وتنتهك حرماتها، وتأمل فى كل شىء ولكنها ترتقب الأمل من كل شىء ! يا للطبيعة الخصبة! يا للقلب الذكى! هذا شاعر القصر يصبح شاعر الشعب!

نعم لقد عز على شوقى فراق سجنه الذهبى ، لقد حن الى هذا السجن مرة ومرة ، وما أرى أنه كان يذكر هذا السجن والحنين اليه وهو يقول هذا البيت من قصيدته فى مشروع ملنر :

من يخلع النير يعش برهه فى أثر النير وفى ندبه

ولكنه قد ذاق الآن لذة الحرية ، وظهر فيه عنصره العربى وعنصره اليونانى ، فهو يحب الهـــواء الطلق وهو يحب الديمقراطية ، وهو ينزل الى الشارع ويطوف فيه حيث يلقى الناس ويتحدث اليهم ، ويسمع منهم ويشاركهم فى لذاتهم وآلامهم ، ثم يرقى الى سماء الشعر فاذا هو ترجمانهم الصادق

ومرآتهم المجلوة الصافية . وكذلك الشعب قوى دائماً، جذاب دائماً ، منه رفعة العظيم وبه خمول الخامل . رفع حافظاً حتى تنافس فى قربه العظماء ، وجذب شوقى حتى فتن بعامة الناس وأغمارهم . وكانت هذه الفتنة مصدر عظمته الباهرة ونبوغه الصحيح لقد كان شوقى فى أول أمره شاعراً أثراً ، يحب نفسه ويلتمس لها أسباب اللذة والنعمة ، ثم شاعراً موظفاً يقف ملكاته على الأمير والسلطان ، ثم عاد الى نفسه ثم رد الى شعبه فأصبح شاعر الفن وأصبح شاعر الشعب . ماذا ؟ بل وسع شعر شوقى فى هذا الطور من أطوار حياته مصر والشرق العربى الناهض كله. لقد كان فى شبابه يذكر الشرق والاسلام، ولكن الشرق والاسلام فى ذلك الطور كانا أسيرين فى يد السلطان من آل عثمان . أما الآن فالاسلام دين الحرية والعدل والمساواة بين الأمم والشعوب ، لا دين الملوك والأمراء وحدهم ، والشرق أمم مضطربة ناهضة تسمو الى المثل العليا وتجد فى السمو اليها ، والشاعر يلتمسها عند نفسها، يلتمسها فى الصحف ، يلتمسها فى الكتب ، يلتمسها فى الأندية ، يلتمسها فى الشوارع والقهوات والأسواق والحوانيت، يلتمسها حيث تعيش وحيث تنمو ، لا حيث كان يلتمسها من قبل فى قصر

الأمير وفى ظل السلطان ، أصبح شوقى شاعر مصر كما أصبح شاعر الشرق العربى .

وصل شوقى فى شيخوخته الى ما وصل اليه حافظ فى شبابه ، لأن شوقى سكت حين كان حافظ ينطق ، ونطق حين اضطر حافظ الى الصمت ، يالسوء الحظ ! ليت حافظاً لم يوظف قط ، وليت شوقى لم يكن شاعر الأمير قط ! ولكن هل تنفع شيئاً ليت ؟ . لقد أسكت حافظ ثلث عمره ، وسجن شوقى ربع قرن ، وخسرت مصر والأدب بسعادة هذين الشاعرين العظيمين شيئاً كثيراً . وتتقدم السن بشوقى وتكثر الحوادث من حوله ويشتد بشاعريته النشاط ، فاذا جناح شعره ينبسط ، وينبسط حتى اذا أظل الشرق العربى كله عاد شوقى فرفع بصره الى السماء بعد أن ملأ عينيه مما فى الأرض ، واذا هو يرى فى السماء الفن الخالص ؛ يرى التمثيل ويرى الغناء فينفق بقية عمره فى التمثيل والغناء . أما فى الغناء فقد أجاد من غير شك ، وأما فى التمثيل فقد غنى فأطرب وأثر فى القلوب ، ولكن لم يمثل شيئاً لأن التمثيل لا يرتجل ارتجالا ، ولا يهجم عليه فى آخر العمر ، وانما هو فن يحتاج الى الشباب ويحتاج الى الدرس

ويحتاج الى القراءة الكثيرة . وقد أضاع شوقى شبابه فى القصر . وقد أضاع شوقى نشاطه وحدة ذهنه قبل أن يفرغ للدرس . وقد كان شوقى قليل القراءة ، فكان تمثيله صوراً ينقصها الروح وان حببها الى الناس ما فيها من براعة فى الغناء .

(٩)

ثم يقبل صيف هذا العام فيخترم حافظاً ، وهو يتأهب للحرب كما تأهب أخيل بعد أن انحاز تحت الخيمة دهراً . ويقبل خريف هذا العام فيطفىء جذوة شوقى فى هدوء ودعة يلائمان ما كان يمتاز به شوقى فى حياته من هدوء ودعة . وكلا الشاعرين قد رفع لمصر مجداً بعيداً فى السماء . وكلا الشاعرين قد غذى قلب الشرق العربى نصف قرن ، أو ما يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء . وكلا الشاعرين قد أحيا الشعر العربى ورد اليه نشاطه ونضرته ورواءه . وكلا الشاعرين قد مهد أحسن تمهيد للنهضة الشعرية المقبلة التى لا بد من أن تقبل ، هما أشعر أهل الشرق العربى منذ مات المتنبى وأبو العلاء من غير شك . هما ختام هذه الحياة الأدبية الطويلة الباهرة التى بدأت فى نجد وانتهت فى القاهرة ، وعاشت خمسة عشر قرناً أو

أكثر ، والتى ستستحيل وتتطور وتستقبل لوناً جديداً من ألوان الفن ، وضرباً جديداً من ضروب المثل العليا فى الشعر. هما أشعر العرب فى عصرهما . ولكن أيهما أشعر من صاحبه ؟

أفترى أن ليس من هذا الحكم بد ؟ أفترى أن تفضيل أحد الرجلين على صاحبه يغنى أو يفيد ؟ نعم ليس من هذا الحكم بد ، لأنه تقرير الحق الواقع ، وفى هذا الحكم نفع عظيم لأنه وضع للأشياء فى نصابها ، ولأنه يبين للمبتدئين فى الشعر من الشبان أين يكون المثل الأعلى . أما أنا فلا أستطيع أن أقول إن أحد الشاعرين خير من صاحبه على الاطلاق . ولكن شوقى لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء ، ولم يحسن ما أحسن حافظ من تصوير نفس الشعب وآلامه وآماله . ولم يتقن ما أتقن حافظ من احساس الألم وتصوير هذا الاحساس وشكوى الزمان . لم يبلغ شوقى من هذا ما بلغ حافظ ، وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة ، وأغنى منه مادة ، وأنفذ منه بصيرة ، وأسبق منه الى المعانى ، وأبرع منه فى تقليد الشعراء المتقدمين . لأن حافظاً كان يقلد فى الألفاظ والصور ، وكان شوقى يقلد فيها وفى المعانى أيضاً . ولشوقى فنون لم يحسنها حافظ وما كان يستطيع أن يحسنها . شوقى شاعر الغناء

غير مدافع ، وشوقى شاعر الوصف غير مدافع ، وشوقى منشىء الشعر التمثيلى فى اللغة العربية . يلتقى الرجلان فى كثير ، ويفترق الرجلان فى كثير ، ولكنهما على كل حال أعظم المحدثين حظاً فى إقامة مجدنا الحديث .

طه حسين